رجال المال والاعمال

يعقوب كندلبرجر

نشرنا في مكان آخر من هذا الجزء ترجمة رجل من رجال المال والاعمال بدأ نجاحهُ بنوع من الصدف فاردنا ان نشفعها بترجمة رجل آخر افلح بسعيهِ واجتهادهِ وهو محوط بكل مثبطات الهمم جسداً ومالاً . وهو يعقوب كندلبرجر مدير اكبر معمل من معامل الورق في اميركا معمل يقصدهُ السياح من كل الاقطار ليروا ما فيهِ من البدائع الصناعية المبنية على احدث الاساليب العلمية . وحسبهُ وصفاً ان معمل الورق العادي تبلغ نفقات انشائهِ ثلاثين الف جنيه الى اربعين الفاً اما هذا المعمل فانشئ بمليون وار بعمائة الف جنيه . وقد شرع مديرهُ هذا في العمل واجرتهُ خمسة غروش في اليوم

قال كاتب سيرتهِ زرت معملهُ وانا لا اعرفهُ فلقيني رجل قصير القامة على عينيهِ نظارة كبيرة لا شيء في وجههِ يستدعي انتباهك لهُ لكنهُ روح ذلك المعمل ودفة سفينتهِ فاراني رُبَّ الورق يأتي من ناحية كالطين الحائر بعد ان كان خرقاً قذرة بالية ويمرُّ في الآلة متدرجاً و بعد لحظة من الزمان يخرج منها ورقاً من اثمر انواع ورق الكتابة وطول ما يخرج منهُ كذلك سبعمائة قدم في الدقيقة من الزمان وجعل يشرح لي كيفية ذلك ثم قال كان الرأي الشائع انهُ ليس في الامكان ان يصنع من الورق الفاخر مثل هذا اكثر من ثلثمائة قدم في الدقيقة من الزمان اما نحن فقلنا ان ذلك في حيز الامكان واتقنا اربعمائة الف و يال على هذه الآلة فضحك منا الناس لكننا لم نبالِ بل قلنا غرضنا والآن يقولون لنا انهُ يستحيل ان توجد آلة تصنع تسعمائة قدم في الدقيقة ولكننا سنقيم آلة تصنع الف قدم

ولد صاحب الترجمة في الالزاس وهاجر ابواهُ الى اميركا وعمرهُ خمس سنوات وكانا فقيرين جداً واتفق انهما سكنا بلدةً فيها معامل لعمل الورق فوُضع في معمل منها وعملهُ فيهِ انتقاء الخرق ونزع ما فيها من الازرار والصوف والعيدان واذا بقي فيها شيء من ذلك عوقب بالرفس . وكان ضعيف العينين قصير البصر لا يميز الخرق الاَّ بالمس وجعلت اجرتهُ خمسة غروش في اليوم وهي مثل غرش او غرشين في مصر . ولضعف بصرهِ وفقر والديهِ لم يرسل الى مدرسة ليتعلَّم القراءة فبلغ الخامسة عشرة وهو لا يعرف حروف الهجاء . و بعد ثلاث سنوات رُقي الى محل الآلات وجُعلت اجرتهُ ستة غروش في اليوم

وقد قال لكاتب سيرته ان ذلك جاء بحكم نظام العمل لا بطلب منهُ ولا شفقة عليهِ لانهُ ما من احد انهض همتهُ او حثهُ على طلب التقدم ثم قال . « وكل ما كنتُ اعنى بهِ واهتم لهُ ان اعمل وقت العمل وآكل وقت الاكل وانام وقت النوم . وسمعت ذات يوم ان قسًّا من القسوس كان يعظ في احدى الكنائس ويحثُّ الناس على التجدُّد فقال بعض رفاقي هلمَّ نذهب الى كنيستهِ ونضحك عليهِ فذهبت معهم ولكنني لم اسمعهُ يوبخ الخطاة وينذرهم بنار جهنم بل سمعتهُ يتكلم بالرفق والتأني ويذكر كلمة « المستقبل » وهو يلتفت الينا كأنهُ يخاطب كل واحد منا يقول لهُ ما انت فاعل لمستقبلك وهل انت عائش كطائر في قفص او هل تنوي ان تكون بعد سنة احسن منك الآن وماذا يكون شأنك بعد عشر سنوات او عشرين سنة أتكون اصلح حالاً ويكون العالم قد استفاد منك شيئاً ما من احد يستطيع ان يجيب عن هذه المسائل سواك لان الاجابة عنها تتوقف على ما تنويهِ الآن

من تلك الساعة شرعت افتكر بحالي ومستقبلي فان ذلك الفتى دعا كل من يريد منا ان يقابلهُ ويطلب مساعدتهُ . فذهبت اليهِ ولقيت عندهُ اناساً من وجوه البلد وبينهم صاحب معمل الورق وكنت انظر اليهِ كأنه معبود فيشٌ في وجهي حينئذٍ وصافحني فشعرت كأني صرت في عالم غير عالمي . لكن الذين لقيتهم هناك كانوا كلهم شيوخاً حتى الاولاد الذين عمرهم مثل نصف عمري وانا اني لا اعرف حروف الهجاء فقامت في نفسي رغبة شديدة في ان اكون مثلهم وكرهت ان ينظروا اليَّ نظر الشفقة والحنان ولم ادرِ كيف اعمل وانا ضعيف البصر ولكن اذا كان لابد لي من ان اتعلم فسأتعلم . ولقد كان ضعف بصري وما لقيتهُ من العناء في تعلم القراءة بسببهِ من اكبر وسائل نجاحي لأنهُ علمني الاستخفاف بما لقيتهُ من المصاعب بعد ذلك وساعدني على اقتحامها والتغلب عليها

ولم يكن عندي كتاب ولا كنت قادراً على الذهاب الى المدرسة لان والديَّ كانا محتاجين الى اجرتي . وكنت كبير النفس لا يسعني التزلف الى مخلوق لكنَّ ولداً من رفاقي اكبر مني سناً ادرك ما بي واخذتهُ الشفقة عليَّ فتبرع لتعليمي واعارني كتب القراءة التي تعلم بها وجعل يعلمني في اوقات الفراغ

واخبر الكاتب انهُ ارى نفسهُ لطبيب العيون فوصف لهُ نظارات (عوينات) تسهل عليهِ الرؤية فواظب على الدرس ست سنوات وعرض عليهِ وهو في معمل الورق ان يكون بواباً في مدرسة باجرة عشرين ريالاً في الشهر وذلك اقل من اجرتهِ حينئذٍ في المعمل وقيل لهُ انهُ يستطيع ان يحضر الدروس حينما لا يضطر ان يكون على باب المدرسة فقبل

المعمل واقي المدرسة وكان قد بلغ الحادية والعشرين من العمر والتلامذة صغار السن فما يزيد عمر الواحد منهم على نصف عمره لكن المدرسين ساعدوهُ كلهم لما رأوا رغبتهُ في الدرس وبعد اربع سنوات صار في درجة تأهلهُ لدخول الجامعة الوسطية ولكن لما كان لابد لهُ من ان يساعد اهلهُ اشار عليهِ بعضهم ان يتعاطى بيع البضائع بالكوميسيون وكان

المستر يعقوب كندلبرجر

يعرف كل ما يتعلق بالورق فجعل يبيعهُ مع اضافة اليهِ بيع الكتب والمواقد ونحو ذلك من امتعة البيت وقضى ساعات الفراغ والسبوت وزاد المساعات في بيع هذه العروض فصار دخلهُ يزيد رويداً رويداً حتى فاق كل ما كان يناله قبلاً . ثم زاد ضعف عينيهِ حتى اشار عليهِ الطبيب بترك الدرس والاَّ فقد بصرهُ تماماً فاقتصر على البيع ولاسيما بيع

المواقد . واتفق ذات يوم ان رآهُ مدير معمل الورق الذي كان فيهِ وقد اتتهُ شحنة كبيرة من المواقد فنظر اليهِ وقال لهُ ما شأنك وهذه المواقد فاجابهُ لقد بعتها كلها واحضرتها لكي اسلمها للذين اشتروها . فقال لهُ اذاً تعالَ الي لا لتعمل في المعمل بل لتبيع الورق ولك مني ١٥ ريالاً كل اسبوع أجرة . ولم يخبرهُ انهُ كان يكتسب مائة ريال في الاسبوع حاسباً ان للعمل عندهُ مستقبلاً كبيراً وقال لهُ اين تسمح لي ان ابيع ورقك فقال في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك

فقبل ما عرض عليهِ واقام ثلاث عشرة سنة يبيع الورق في كل هذه البلدان وكان يعرف رجلاً شيخاً حنكتهُ التجارب فقال لهُ ذات يوم اراك نطاطاً كالجندب ان الرجال الذين عملوا عملاً يذكر في المسكونة استقروا في عمل واحد ووسعوا دائرتهُ . فاثر هذا القول في نفسهِ وعزم ان يعمل بهِ

وتزوجت اختهُ برجل يشتغل بعمل الورق فاتفق معهُ على انشاء هذا المعمل ولقيا من المشاق في انشائهِ وادارتهِ ما يعجز القلم عن وصفهِ وتدرّجا فيهِ من خمسين الف ريال دفعتها الشركة التي انشأها لذلك الى ان اتسع وصار رأس مالهِ سبعة ملايين ريال فانهما انشآهُ في بناء كان معملاً للبيرا والفلس وهو في قفر يكاد يكون مستنقعاً يغطيهِ الثلج شتاء والوحل ربيعاً وخريفاً ويسردق فوقهُ الغبار صيفاً ولم يكن هناك بيوت لينام فيها هما والعمال فنصبوا خياماً وكانوا يطبخون طعامهم بايديهم وكان هو يوقد نار المعمل بيدهِ لكي يقتصد اجرة وقاد ومرّت سنتان على هذه الصورة ولم ييأس لأنهُ اعتقد بصحة عملهِ وان النجاح آتٍ لا محالة وجاءهُ اول بارق من بوارق النجاح عرضاً وقد وصفهُ بقولهِ

«كنت سائراً في مركبة ذات يوم وكان فيها امرأتان فقالت الواحدة للاخرى الى اين. فاجابتها انني ذاهبة لاشتري ورقاً اضعهُ على الارفف . فقالت الاولى انك لا تجدين ورقاً للارفف لان صانعي الورق لا يصنعونهُ وانا ابتاع ورقاً عادياً وهو عريض ناقصهُ حتى يصلح ولا ادري لماذا لا يصنعون ورقاً عرضهُ عرض الارفف

«فلما سمعت هذا الحديث قلت في نفسي انني سأصنع هذا الورق فصنعتهُ واعلنت عنهُ فراجت سوقهُ اي رواج . ومن ثم صرنا نفتش عن الانواع التي تحتاج اليها البلاد اكثر من غيرها فنصنعها فتروج حالاً ونكتسب منها ما سهل علينا عمل الانواع الكثيرة الاستعمال وترالى نجاحنا فوسعنا المعمل وبنينا بيوتاً للعمال ومدرسة لاولادهم فصار عندنا بلد منتظم الشوارع يبلغ عدد سكانهِ ١٥٠٠ نفس وصار رأس مال المعمل سبعة ملايين ريال»